الفصل الثامن: أدب المعاش

اهتم الدكتور زكي مبارك بما أسماه: «أدب المعاش» وألف كتابًا عن هذا الموضوع، ولكن العمر لم يمهله حتى يرى كتابه النور[١] ... وأدب المعاش يعني فن الحياة... ويرى أن على الإنسان أن يسوي حساباته مع نفسه كل عام تمام كما يفعل تجار الورق وغيرهم... فيجلس مع نفسه ليعرف ماذا ربح وماذا خسر في السنة الماضية ... ويعرف أن هو مما فات ومات... وما الذي يمكن أن يفعله في السنة الجديدة...

وفن الحياة -كما يراه أيضًا- هو الاعتماد على النفس؛ لأن ميادين الحياة في كل أرض تتسع للعيش؛ لأن العيش يُطلب بالعمل لا بالسؤال... وفي ذلك يقول:

«إن الأساس لبناء المستقبل أن تكون روح الشعب وروح الجماعة ممثلة في كل فرد، فيكون الرجل حاكمًا ومحكومًا في آن واحد، حاكمًا لهواه ومحكومًا في نهاه، ثم تتلاقى قوى الأفراد في القطرات الطاهرة من الغيوث، فتخلق نهرًا في مثل عظمة النيل.

فالقوة الفردية هي أساس القوة الاجتماعية.

والمثال الصحيح للأخلاق السليمة هو أن تعرف ما لك وما عليك، فتحب لأخيك ما تحب لنفسك، وتبغض لأخيك ما تبغض لنفسك، ويكون رأيك في تقدير المشكلات الاجتماعية هو الميزان».

---

(١) كتاب «أدب المعاش» تحت الطبع الآن.

أيضًا أدب المعاش كما يرى هو الأدب الذي يعلم الناس كيف يقتصدون وكيف يدخرون، وكيف يواجهون مطالب الحياة في الشباب والمشيب بجيوب سليمة من مرض الإفلاس، ويقول:

«إن المعلم الحق في نظري هو الذي يروض نفسه ويروض تلاميذه على تدبير المعاش، فلا يمكن لمدرس يبدد مرتبه في الأسبوع الأول من الشهر أن يجد عقله في الباقي من الأسابيع».

ويرى أنه علينا أن نبحث عن الأديب المخلوق لدرس الحياة، ويقول[١]:

«نحن نرجو أن يكون في أساتذة الأدب من يخرج على الذوق المتكلف والوقار المصنوع، نرجو أن يكون عندنا أساتذة يزورون تلاميذهم في بيوتهم، ويرافقونهم في الحفلات والسهرات، ويطوفون بهم على الأحياء الشعبية ليعلموهم كيف تكون الثورة على ما في حياة الشعوب من بؤس وشقاء... نريد أساتذة يربون تلاميذهم على مرافقة العمال والصناع والفلاحين ليكونوا في المستقبل من حملة الأقلام النُّورانية التي تبدد غياهب الجهل والخمول... نريد أدبًا يبعث في الشعب روح التمرد على الفقر والمسكنة والذل، ويروضه على الطمع الشريف في الغنى والكسب والعزة والكبرياء... نريد أدبًا يطمعنا في استرجاع ما ضاع من مجد مصر والنيل... نريد أدبًا يرفعنا إلى صفوف الجوارح، نريد أدبًا يعلمنا فضل المخلب والناب، نريد أدبًا نسيطر به على الدنيا غير باغين ولا عادين».

---

(١) من كتاب «جناية أحمد أمين على الأدب العربي» الطبعة الثانية، دار الجيل بيروت.

ويقول على صفحات (جريدة البلاغ) في الثالث من أكتوبر سنة ١٩٥٠ يقول: «أنا أصور المجتمع الذي يقوم بناؤه من جوانب ويتهدم من جوانب، وكما أعبر عن نفسي أعبر عن أنفس قرائي، فهم يلقون في حياتهم ما ألقاه من آمال وآلام، ولو كانوا يكتبون أو ينظمون لقالوا مثل الذي أقول، فنثر الكاتب وشِعْر الشاعر صورة صحيحة لألوان الحياة في العصر الذي يعيش فيه الكاتب والشاعر».

وفي كثير من مقالاته نلتقي برأيه في أدب المعاش... أو في فن الحياة... ولنبدأ بمقاله على صفحات مجلة الرسالة في الثامن والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٤٢ حيث يقول تحت عنوان:

أدب المعاش[1]

لا جدال في أن الأدب العربي الحديث قد سما سموًّا عظيمًا في كثير من الفنون، ولكني مع ذلك أراه تخلف أقبح التخلف في دعوة الناس إلى تدبير المعاش، وأنا أقترح أن يكون عندنا أدب يسمى «أدب المعاش» وهو الدب الذي يعلم الناس كيف يقتصدون، وكيف يدخرون، وكيف يواجهون مطالب الحياة في الشباب والمشيب، بجيوب سليمة من مرض الإفلاس، فما يُذلُّ الرجال غير الفقر، أعاذنا الله وأعاذ جميع الأحرار من رؤية وجهه البغيض.

ولتوضيح هذا النقص في اتجاهاتنا الأدبية أسوق الفكاهتين الآتيتين:

لقيني الشاعر حافظ إبراهيم يومًا فقال:

---

(١) مجلة الرسالة ١٩٤٢/٩/٢٨.

- هل رأيت ما صنع شوقي؟

- وماذا صنع شوقي؟

- نظم قصيدة في «بنك مصر» مع أنه لو اختلف مع هذا البنك على مليم واحد لساقه إلى ساحة القضاء!

- ومعنى هذا أنك لا ترى أن تقال في «البنوك» قصائد؟

- القصائد لا تقال إلا في الأزهار والرياحين.

ولقيني الشاعر عباس العقاد يومًا فقال:

- قد نفيناك عن فردوس الأدب.

- وما سبب هذا النفي يا حضرة الأستاذ؟

- لأنك بنيت بيتًا في مصر الجديدة، والأدب لا يعرف مثل هذا الثراء.

وقد اعتذرت للأستاذ العقاد بعبارة لطيفة، عبارة تقول بأن شهرتي بالأدب هددت سمعتي المالية، فكان من واجبي، أن أبني بيتًا ولو بالتقسيط، لتَحْسُن سمعتي في سنتريس.

والحق أن أدباءنا قد انصرفوا عن تعليم أنفسهم وتعليم قرائهم فكرة المعاش، ولو شئت لقلت: إنهم يتباهون بالتبديد لما يملكون. وهذا خطرٌ يجب التحذير من عواقبه السُّود، وأنا أنبه نفسي وأنبه تلاميذي وقرائي، فلأسمعْ وليسمعوا، ولعل فيهم من يعي كلامي بأكثر مما أعي كلامي.

لا يعاب على الأديب أن يقصّ بعض وقائعه الغرامية، فمنذ عهد امرئ القيس إلى اليوم والشعراء يتباهون بحوادث الضم والعناق والوصال، والأمر كذلك عند شعراء الأمم الأجنبية، ولكن يعاب على الأديب أن يقص بعض مسالكه في تدبير المعاش، وما وقع من ذلك لم يقابل بغير السخرية والاستهزاء.

وأخرج على هذا التقليد فأقول: إني جريت منذ أعوام على الادخار في حدود الاعتدال، فلا أحرم نفسي ولا أحرم أبنائي نعمة العيش المقبول؛ ولكني لا أسمح لنفسي ولا لأبنائي بتبديد ما يسوق الله من الرزق الحلال.

وعند اشتغالي بالتدريس كنت أسأل تلاميذي عما يدخرون، ولم يفتني أن ألقي درسًا في الادخار على تلاميذي في بغداد، راجيًا أن يلقوه على تلاميذهم في جميع أرجاء العراق.

ومهنتي اليوم لا تتسع لأمثال هذه الدروس، ومع ذلك يغلبني حب الخير، فأسأل المدرسين الذين أتشرف بتوجيههم إلى المناهج الصحيحة في التدريس، أسألهم عما يدخرون، لأطمئن إلى صلاحيتهم لمهنة التعليم؛ فالمعلم الحق في نظري هو الذي يروض نفسه ويروض تلاميذه على تدبير المعاش. ولا يمكن لمدرس يبدد مرتبه في الأسبوع الأول من الشهر أن يجد عقله في الباقي من الأسابيع.

وتدبير المال في الحدود المعقولة يشهد بالقدرة على ضبط النفس، وضبط النفس هو أوثق صور الأخلاق، وما يجوز لمبذر أن يتوهم أنه يصلح لشيء من جلائل الأعمال.

أكتب هذا وأنا أعرف أن في بني آدم من يطيب له أن يتهمني بالشح والبخل؛ لأنهم ألفوا وصف المدخرين بالشح وبالبخل؛ ولأن الشعر القديم صوَّر لهم التبذير بصورة السخاء، مع أن أكثر المدائح كانت تمائم أريدَ بها انتهاب ما يملك الخلفاء والملوك.

ومهما نهيتكم عن الإسراف فلن أنهاكم عن البر بالفقراء والمساكين. ولي هنا غاية تجارية: فقد عرفت بالتجربة أن الله يعوض ما ننفقه على المعوزين أضعافًا مضاعفة، ومن الواجب أن نستغل كرم الله أجمل استغلال في حدود ما نطيق.

وأنا بعد هذا أرجو من يؤلفون كتب المطالعة لتلاميذ المدارس أن يكثروا من الحث على الادخار؛ ليساعدوا على إنشاء جيل جديد، جيل متماسك لا يتباهى أبناؤه بالإسراف والتبديد، وإنما يتباهون بالبر والإفضال.

* * *

obeikandl.com

القوة الفردية هي أساس القوة الاجتماعية

[رسالة مهداة إلى معالي الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشئون الاجتماعية]

في العام الأسبق نشرتُ مقالات عن الفقراء والأغنياء تقوم على أساس القول بأن الفقر مرض ولكل مرض أسباب، وأن الغنى عافية ولكل عافية أسباب.

وقد قوبلت تلك المقالات بالاستنكار من كل جانب، وعدها الناس تحاملًا على الفقراء، وتلطفًا مع الأغنياء، مع أني كتبتها لوجه الله والحق، ولم يكن هناك باعث غير الرغبة الصحيحة في عرض آراء قد اقتنعت بصحتها كل الاقتناع.

ثم مرت شهور طوال وأنا أفكر في أسباب غضب الجمهور على تلك المقالات، فلم أجدها ترجع إلا إلى سبب واحد: هو مجاراة النزعة الموروثة في الترفق بالفقراء، والغض من أقدار الأغنياء، فقد مرت أزمان والناس لا يقرءون غير كلمات معسولة في الدعوة إلى الرأفة والرحمة والبر والحنان فيما يتصل بمعاملة الفقراء، وكلمات مسمومة في إنذار الأغنياء بعواقب الحرص على كنز الأموال.

وأقول: إن هذه الألوان الكلامية كانت تليق بزمان غير هذا الزمان، يوم كانت الكلمة اللطيفة تنفع الفقير بعض النفع لما فيها من المواساة، ويوم كانت الكلمة القاسية تصدُّ الغني عن المبالغة في طلب الجاه والمال.

أما اليوم فقد تغيرت مذاهب الحياة أشد التغير، ولم يبق للكلام المعسول أي قيمة في مواساة الفقراء، ولم يعد للكلام المسموم أي وزن في تقويم الأغنياء.

نحن في زمن الحقائق، وليس للكاتب المرائي في هذا الزمن مكان.

نحن في زمن الحقائق، والحقائق تنطق بأن الفقر مرض، وأن الغنى عافية. والمريض الذي لا يبحث عن أسباب مرضه ليتجنبها هو مريض في طريق الموت.

يجب أن نُقنع كل فرد بأن الغنى طوع يديه إن أراد.

ويجب أن نُقْنع كل فرد بأن الوصول إلى الرزق ليس من المشكلات؛ فجهاد ساعتين اثنتين من كل يوم يكفي للظفر بالزاد الذي يغني عن سؤال الناس.

وميادين الحياة في كل أرض تتسع للعيش، والعيش الذي يُطلَب بالعمل لا بالسؤال.

إن الفقر هو انعدام الرزق، والغنى هو وجود الرزق.

أقول هذا لأدفع وهمًا من أسخف الأوهام؛ وهو الوهم الذي يقول كاذبًا بأن الأغنياء هم الذين يملكون القصور والبساتين، وأن الفقراء هم الذين لا يملكون قصورًا ولا بساتين.

العامل الذي يكسب خمسة قروش في اليوم ليدخل على أهله في المساء ومعه القوت الحلال من الخبز والبصل والفول، هو من كبار الأغنياء.

والخادم الذي يصدق في بيت مخدومه ويقدم لأهله في كل شهر عشرات القروش، هو من كبار الأغنياء.

الغِنى الحق هو انعدام الاحتياج إلى الصدقات، فما تجوز الصدقة إلى على من يُحرَم القدرة على الكسب الشريف.

ومن قال غير هذا القول فهو كاتب يتملق المجتمع ويطمع في شهرة محرَّمة، والشهرة كالرزق فيها حرام وحلال.

إن التباكي أو البكاء لن ينفع الفقراء بشيء، ولو جُمعت دموع الباكين من الكتاب والشعراء والخطباء؛ لكانت أقل من أن تملأ كوبًا ينقع غلة فقير ظمآن.

أدباؤنا لن يؤدوا رسالتهم الاجتماعية إلا يوم يستطيعون إقناع الكناس بأنه يؤدي مهمة وطنية.

لو كان في مصر أدبٌ اجتماعي صادق لكان من ثماره أن يتغنى الكناس بفضل مكنسته، وهي من أظهر شواهد المدنيَّة.

ولكن الكناس يجد من أدباء مصر من يبكي على مصيره بكاء التماسيح.

الغبار يؤذي الرئتين فيورث السل.

كذلك قال الأطباء.

فهل سمعتم أن كناسًا مات بالسل؟

إن الله يحمي الكناسين؛ لأنهم يؤدون خدمة عمومية، ولم يبق إلا أن يفهم الكناسون هذا المعنى، ليدركوا أنهم جنود جندهم الوطن لخدمة الإنسانية.

وقد طال تباكي الأدباء على الفلاحين، فهل في أدبائنا من يفهم أن الفلاحين في غنى عن تباكيهم المصطنع؟

قالوا: إن الفلاح يبيت مع الجاموسة في حظيرة واحدة، وفاتهم أن المبيت مع الجاموسة أطهر وأشرف من المبيت في غرفة مفروشة بأحد المنازل التي يعرفها المتأنقون من أدباء هذا الجيل الظريف!!

إن حياة الفلاح في صحبة مواشيه حياة تفيض بالروح والوجدان، فهو ينظر إلى مواشيه برفق يعادل نظره إلى أبنائه الأعزاء، وهو يسهر حول حظيرة ثوره حين يمرض، كما يسهر حول فراش ابنه حين يمرض، وهو لا يسمح بذبح ماشية مريضة إلا طاعة لعقيدة توحي إليه أن من الإساءة للحيوان الأليف أن يموت موت «الفطيس»، وكذلك تكون المسارعة إلى ذبح الحيوان المريض بابًا من التكريم؛ لا ضربًا من الاستغلال.

على هذا النحو من الفهم كانت الحياة في الريف، فقد رأيت ناسًا يسهرون ومعهم مصباح حول ثور مريض، كأنهم يتوهمون أن المصباح يؤنسه بعض الإيناس. وتلك صورة تشهد بصدق الفطرة المصرية في إدراك منافع الطير والحيوان.

والذي يفهم الريف حق الفهم يدرك السبب في عبادة المصريين القدماء للأنعام، وهذه العبادة فُهمت على غير وجهها الصحيح. فما كان الغرض أن يكون البقر آلهة يعبدون من دون الله؛ وإنما كان الغرض أن يكون تقديس البقر نوعًا من صيانة النعمة الربانية، على نحو ما يصنع الفلاح المسلم حين يكره ترك فتات الخبز في الطريق؛ لأنه يرى من كفر النعمة أن تداس بقايا الخبز بالأقدام.

إن البقرة والثور من العناصر الأصيلة في الثروة المصرية، ومن أجل هذا المعنى كانت هاتور وكان أبيس من المعبودات في زمن الفراعين. وعن مصر أخذت عبادة البقر في الأقطار الهندية، وتلك وثنية تستحق العطف، إذا فكرنا في سببها الصحيح.

وقد حدثني سعادة الأستاذ طه الراوي أن الحَجَّاج كان يحرِّم ذبح البقر، وأنشد أبياتًا قالها العراقيون في السخرية من هذا التحريم، فمن أين أخذ الحجاج ذلك البدع الطريف؟

هل أخذه عن مصر؟ هل أخذه عن الهند؟

لا هذا ولا ذاك، وإنما استوحى المنافع الحقيقية للبقر في بناء العمران.

ونحن في هذا العهد نسرف في أكل اللحوم إسرافًا يحمل الحكومة على تقييد بيع اللحوم، وإن تمادينا على هذه الحال فستزول المعاني الشعرية التي يحسها الفلاح في رعاية مواشيه، وسيمسي الفلاح وهو آلة في أيدي الجزارين!

فهل يجوز بعد هذا الكلام أن يتمادى الكتاب المتحذلقون في تعبير الفلاح بأنه ينام في حظائر الأبقار والجواميس؟

إن لله حكمة في أن يجعل لنا أصدقاء نافعين من الطير والحيوان، أصدقاء لا يطالبون بشيء، ولا يثورون على الحرمان!

كان أحد ملوك فرنسا يقول: إن الذي يهمني أن يعم الرخاء بحيث يجد كل فرنسي دجاجة لمائدة يوم الأحد... والرخاء عندي أن يكون في دار كل فلاح بقرة أو جاموسة، فمتى نذيع هذا المعنى بأقلامنا؟ ومتى نترك تعييره بمصاحبة المواشي؟

كانت بيوت المياسير من أهل القاهرة تشتمل على حظيرة للأنعام، وكان هذا يلاحظ في تخطيط البيوت، فهل ترجع هذه النزعة السليمة، ولو في البيوت التي تقام في الضواحي؟

وكان الفرن ملحوظًا في كل بيت، ثم تمدّنا فكانت العاقبة أن نعاني ذمم الخبازين!

وكانت أكثر البيوت في القاهرة تنتظر زادها «الصابح» من خيرات الريف يوم كان للقاهريين صلات بالريف، وقد انقطعت تلك الصلات بفضل التمدن الحديث.

أما بعد، فأين أنا مما أريد؟

أنا أدعو إلى تقوية الذاتية في كل فرد، وإلى تمجيد كل مهنة، وإلى احترام كل جهاد في سبيل الرزق الحلال.

أنا أدعو العمال الذين ينقلون الأحجار إلى الفرح برؤية المباني الشواهق؛ لأن لهم يدًا في رفع البناء.

وأدعو الكناسين إلى الفرح برؤية الأصحاء؛ لأن لهم يدًا في دفع ما يحمل الغبار من أوباء.

وأدعو عمال المطابع إلى الفرح بنهضة مصر العلمية؛ لأن لهم يدًا في إبراز نفائس المؤلفات.

الحياة الطيبة هي الحياة التي يسودها الرضا والابتهاج، وفي مقدور كل فرد أن يحيا هذه الحياة، لو سكت الكتاب المتحذلقون فلم يبغضوا الحياة إلى الأحياء.

هل تتوهمون أن السعادة لا تكون إلا من نصيب من يرتادون الملاهي أو يملكون البيوت والسيارات والفدادين؟

لو عرف الفلاح المجاهد في سبيل القوت أنه يُغني أمته قبل أن يغتني لشعر بسعادة تفوق الوصف.

ولو عرف الخادم أنه يساعد بأمانته على تجميل الحياة لأدرك أنه من السعداء.

هل توجد في الدنيا مهنة حقيرة؟ لا، وإنما يوجد في الدنيا حقراء، وهم الذين يريدون أكل العيش بلا جهاد.

ثم أمّا بعد، فهذا درس في الأخلاق التي نرجو أن تسود في هذا الجيل وهو درسٌ أوحته القصة الآتية:

كنت أسير في أحد البلاد ومعي رجلٌ متعلم له وظيفة ملحوظة في الريف، فرأينا جماعة من الفلاحين يجاهدون في نقل «عدة وابور» مياه؛ فتنهَّد ذلك المتعلم وقال: انظر كيف يشقى الفلاحون!

ثم بالغ في التنهُّد إلى أن خِفت على عينيه من الدمع.

عند ذلك قلت: ومن ينقل هذه «العدة» إذا تخلى عنها هؤلاء الرجال الأشداء؟ فقال: هذه الحكومة تُسمي نفسها حكومة الشعب، ومع ذلك لا تحمي هؤلاء المساكين من هذه الأثقال.

فقلت: وهل ترى من واجب حكومة الشعب أن تحمي الشعب من الجهاد في سبيل الحياة؟

وطالت اللجاجة بيني وبين ذلك «المتعلم»، وانتهى الأمر بأن زاد اقتناعه بأني عدو الفلاحين.

لو كان ذلك المتعلم من ارباب الأذواق لوجد في ذلك المنظر فرصةً لنظم قصيدة يمجد بها النشاط المصري؛ النشاط الموروث عن الآباء والأجداد، فالفلاحون المصريون هم أقوى الفلاحين في الدنيا بلا استثناء، ولو اشتركوا في مصارعة دولية لكانوا الفائزين.

ما العيب في أن يعاني الفلاحون عرق الجبين؟

وما العيب في ألا يعرفوا غير الفئوس والمحاريث؟

وما العيب في أن يمشوا حفاة الأقدام؟

وما العيب في أن يكونوا شُعثًا لا زينة لهم غير كرم النفوس؟

هل تعرفون السعادة التي يشعر بها الفلاح وهو يوصي أهله بأن يوقظوه قبل الشروق ليدرك صلاة الصبح؟

هل تدركون فرح الفلاح بقدوم شهر الصيام؟

كان في مصر فِلاحَة، وكان فيها فلاحون، واليوم عرفتْ مصرُ أو عرف بعض كتابها أن حياة الفلاح بؤس في بؤس، وأن الواجب تنبيهه إلى ما خفي عليه من الشقاء والعناء.

أنا عدو الفلاح، ولكن أي فلاح؟

أنا عدو الفلاح الذي يصدق ما يسمع أو ما يقرأ في التهوين من شأن الريف.

أنا عدو من يجهل نعمة الله عليه، والله قد أغدق نعمه على جميع الأحياء، فمتى نشكر الله على نعمه السوابغ؟ ومتى نعرف أننا لم نوفه حقه من الثناء؟

***

obeikandl.com

الحديث ذو شجون[1]

تجميل القاهرة - قطار بورسعيد - قطار الديزل -القيظ في أسيوط -

المدينة المهجورة - كلمة صريحة إلى أهل أسيوط

تجميل القاهرة:

المعروف أن رجال الهندسة لا يرون من حق رجال الأدب أن يتحدثوا في شئون هي في الأصل من أعمال المهندسين، ولكني مع ذلك سأسوق ملاحظة تبين أن تخطيط المدن يقوم على قواعد ذوقية قبل أن يقوم على قواعد هندسية، إن جاز الفصل بين الهندسة والذوق!

هل سمعتم حديث «نفق شبرا» وقد انتظرناه عددًا من السنين؟

لا أدري كيف سمحنا بأن ننفق في إنشائه ألوفًا مؤلفة من الدنانير، ثم تكون النتيجة أن يبقى جسر شبرا في حالة لا تريح من يسيرون على الأقدام؛ لأنهم مضطرون إلى استعمال تلك السلالم المتعبة في الذهاب والإياب، بغض النظر عن المتاعب التي يتعرض لها من يريد ركوب ترام شبرا وهو في ميدان باب الحديد.

(١) مجلة الرسالة: ١٧/٥/١٩٤٣.

obeikandi.com

منشأ هذه المضجرات أننا أردنا أن تكون محطة القاهرة محطة واحدة، وكان يجب أن تكون فيها محطة لقطارات الشمال ومحطة لقطارات الجنوب، ولو فعلنا ذلك لظفرت القاهرة بميدان جديد، ولكان من السهل أن تُرفع متاعب من يتجهون إلى شبرا، وهي اليوم منطقة تموج موجًا بالسكان، وستكون مصدر نشاط صناعي واقتصادي في المستقبل القريب.

يجب أن نبادر إلى رفع جسر شبرا، وأن نفصل محطة الشمال عن محطة الجنوب، وهذا لا يمنع من بقاء الطريق الذي تمر به قطارات البضائع، وهي قليلة العدد، وأغلبها يمر بالليل، فلا يعرقل حركة المرور إلا في لحظات لا يُحسب لها حساب.

***

لقاء القاهرة:

خطر في البال هذا الخاطر وأنا أمتطي قطار الديزل إلى الصعيد في عصرية الخميس الماضي، ثم خطر في البال أيضًا ما تعاني المنطقة التي يمر فيها قطار الصعيد بين باب الحديد وجسر إمبابة، وهي منطقة لا تقع فيها العين على منظر جميل؛ لأنها من ذيول بولاق، وكان الظن أن نفهم أنها أول ما يرى القادم على القاهرة من ناحية الصعيد.

منذ ثلاث سنين كتبت كلمة في مجلة الرسالة أدعو فيها إلى تجميل مدخل القاهرة في نظر القادم من الإسكندرية أو بورسعيد، فما استمع مستمع ولا استجاب مستجيب، وأنا اليوم أعجب من أن تبقى منطقة بولاق على ما كانت عليه قبل التمدن الحديث؛ مع أن لبولاق تاريخًا من أعظم التواريخ، فهي التي أنشأت المدافع لمقاومة الاحتلال الفرنسي،

وفيها أقيمت أول مطبعة لإحياء المؤلفات العربية والإسلامية. وهل في العرب من لا يدين لمطبعة بولاق، ولو كان في أقاصي الصين؟

***

قطار بورسعيد:

الواقع أننا لا نفكر في خلق الجاذبية في صدور من يفد على الديار المصرية... هل تعرفون شيئًا عن قطار بورسعيد؟

وهل تصدقون أن أجرة الباخرة من مارسيليا إلى الإسكندرية أرخص من أجرة المثل في السفر من مارسيليا إلى بورسعيد؟

لذلك أسباب؛ ولكني أحب أن أجعل قطار بورسعيد من أهم الأسباب.

هو قطار سخيف، وهو لسُخْفه يجهل أنه يقاسي زوابع الصحراء نحو ساعتين، فليس بالدرجة الثانية ستائر تمنع هجوم الرمل والتراب. أما الدرجة الثالثة فطعام ركابها عجاج في عجاج... ويا ويل من يركب قطار بورسعيد وهو خفيف الجيب!

وبهذه المناسبة أذكر أن الدرجة الثانية بقطار الصعيد ليس فيها مراوح، فماذا يصنع الركاب في وهج الصيف، إذا كتب عليهم أن يصطلوا القيظ بين الأقصر وأسوان؟

شيئًا من الرحمة، يا مدير سكك الحديد، فقد سمعت أنك من الرحماء؟

وما حال المقصف الذي يوجد في بعض القطارات لا كل القطارات؟

obeikandl.com

هو محرم على ركاب الدرجة الثالثة تحريمًا قاطعًا، وقد يكون فيهم من يحتاج إلى تناول الطعام في مكان مريح؛ ليدفع مشقة السفر، وهو قطعة من العذاب.

يا ناس، يا ناس، ارحموا من في الأرض يرحمكم مَن في السماء!

***

قطار الديزل:

سُمِّي باسم المخترع Deisel وهو ألماني الأصل، وليس بقطار الديزل مقصف، مع أنه خاص بركاب الدرجة الأولى والثانية، ومع أنه لا يقف إلا في محطات قليلة، وهو حين يقف لا يتمكث غير دقيقة أو دقيقتين.

بهذا القطار حنفية تجود بالماء لمن يقبل الجود من الأشحاء، وما قيمة الجود بماء لم يسمع بأخبار الثلج، ولا يعرف الطريق إلى تنسُّم الهواء؟

جربوا السفر بهذا القطار بعد الظهر في مثل هذه الأيام وفي طريق الصعيد، لتعرفوا كيف يبخل القطار على ضيوفه الأعزاء بكمية من الماء المثلوج لا تتكلف خمسة قروش.

وقف الديزل في محطة بني سويف، فتصايح الركاب يطلبون من الباعة إمدادهم بأكواب الليمون؛ ليبتلعوها في مثل ومضة البرق، ويقوم القطار قبل أن يتناول المسافرون ما يخفف وقدة الظمأ، وبعد لحظات يقف القطار، وننظر فنعرف أنه وقف إكرامًا لصاحب «بوفيه المحطة» وكان بقي في القطار إلى أن يتسلم ما له عند المسافرين من نقود!

فما الذي يمنع من أن يقف القطار بالمحطة نحو ثلاث أو خمس دقائق؛ ليستغني عن هذا التلطف في معاملة صاحب البوفيه، وليضمن راحة المسافرين من بعض هذا العناء؟

أيكون من الصعب إمداد ثلاجة القطار بزادها من الثلج، ولو بإضافة زيادة على أثمان التذاكر؟

أمَّا بعد، فهذه شئون تبدو من التوافه في نظر بعض الناس، ولكنها شئون على جانب من الأهمية، والاهتمام بها قد يغير ما درجنا عليه من الغفلة عن تذوق الحياة.

وهل كان البدوي الذي يعاني متاعب السفر في البيداء أشقى من الحضري الذي يمتطي قطار الديزل، وهو على ما وصفت؟

لقد ظمئت بهذا القطار ظمأ لم أشعر بمثله وأنا أخترق البادية من دمشق إلى بغداد؛ لأن مطية نيرن تفكر فيما لا تفكر فيه مطية ديزل، ولأن الشركات تصنع في ملاطفة الزبائن ما لا تصنع الحكومات... وما أحب أن أزيد!

***

القيظ في أسيوط:

دخلتُ أسيوط وقد انتصف الليل أو كاد، فرأيتها في حال من القيظ لا تطاق، فماذا صنعت الأيام بجو هذه المدينة الفيحاء؟

إنها بعيدة من النيل بعض البعد، فكيف أنشئت على هذا الوضع، وما كان لمدينة مصرية أن تُنشأ إلا على ضفاف النيل؟

كانت أسيوط في الأصل على شاطئ نهر يجاورها من الغرب، نهر يساير الجبل من الجنوب إلى الشمال، وقد انطمر هذا النهر، ولم يبق ما يدل عليه غير بقايا من قناطر محطمة كان لها شأن فيما سلف من الزمان.

وكان بأسيوط برك واسعة؛ كالبرك التي كانت بالقاهرة من أمثال بِرْكة الأزبكية وبركة الرطلي وبركة الفيل.

والبركة كانت كلمة مقبولة في الأيام الخوالي، ولها في أشعار البحتري مكان، وقد أخذتها اللغة الأسبانية عن اللغة العربية، وابتذال هذه الكلمة جديد في حياتها اللغوية، فهي اليوم ترادف كلمة المستنقع، ومن هنا قيل: «بطينة ولا غسيل البِرك».

البركة قديمًا هي البحيرة، والبحيرة تصغير بحرة مؤنث بحر، والبحر في أصل اللغة هو مجتمع الماء الغزير، بغض النظر عن العذوبة والملوحة، فما يخطئ المصريون في تسمية النيل بحرًا، مع أنه عذبٌ لا أُجَاج.

وأقول: إنَّ البرك التي كانت بالقاهرة وأسيوط هي بحيرات، فقد كانت تأخذ مددها من النيل في أيام الفيضان، ثم يبرك فيها الماء بعد انحسار الفيضان، فهي بركة من أجل هذا، إن صح هذا التخريج، وهو صحيح.

كانت بركُ القاهرة كثيرة المنافع، فقد كانت مجالًا لنزهات الأصيل والعشيات في السفائن اللطيفة، وكان منادح لتوالد الأسماك، وكتلك كانت برك أسيوط، وإن لم يسجل الأسيوطيون بركهم في الأشعار كما صنع القاهريون.

والذي يهمني في هذا المقام هو النص على أن برك أسيوط طُمرت كما طُمر النهر الذي كان يساير الجبل، وهذا من أسباب عنف القيظ في أسيوط.

لقد حاول عبد السلام الشاذلي باشا تحويل تلك البرك إلى حدائق، فتم له ما أراد في بركة واحدة، وبقيت البرك الأخرى في حال من الجفاف تزيد وَقْدَةَ القيظ.

أنا أعرف أن من العسير نقل أسيوط إلى شاطئ النيل في سنة أو سنوات، فلم يبق إلا أن نقترح المبادرة إلى تزويدها بالحدائق الكثيرة ليخف عذابها بلوافح الصيف.

***

المدينة المهجورة:

هي مدينة أسيوط، فقد زهد فيها كبار أهليها من المسلمين والأقباط، وكادت تفقد اللقب الذي يجعلها عاصمة الصعيد.

ومن يصدق أن أسيوط كانت قبل عشرين سنة أنضر مما هي اليوم؟

ومن غريب ما لاحظت أن أسيوط أقل الحواضر المصرية مسايرة للحياة الأدبية، ولولا الرعاية لحق هذه المدينة لقلت: إنها لا تعرف من مطبوعات القاهرة بعض ما تعرف دمشق أو بيروت أو بغداد.

هل تتغير هذه الحال بإنشاء الجامعة الثالثة جامعة أسيوط؟

obeikandi.com

إن الجلال السيوطي وهو أشهر من مجد اسم أسيوط في العهد الإسلامي لم يتخذ هذه المدينة دار مقام في الحياة ولا بعد الممات، فهل كان يعرف زهدها في المجد العلمي والأدبي؟

***

كلمة صريحة إلى أهل أسيوط:

في أسيوط وحدها يمر يوم وأيام بلا مدد من الجرائد والمجلات، فكيف يقع ذلك ومدينة أسيوط هي الثالثة أو الرابعة بين كبريات المدائن المصرية؟

اتقوا الأدب في مدينة كان لها في الأدب تاريخ.

عزيز عليَّ أن أقول في أسيوط كلامًا كالذي قلت؛ ولكن ماذا أصنع وأنا موقن بأنها أقل اهتمامًا بالأدب من حواضر السودان، وبيننا وبينه أبعادٌ طوال؟

***

obeikandl.com

الحديث ذو شجون

حياة أسيوط- الدفع مقدمًا ...

حياة أسيوط:

كان من المنتظر أن يتأذَّى قومٌ من الكلمة التي كتبتها عن أسيوط، وفي دفع تلك الكلمة تلقيت خطابين كريمين؛ أحدهما من الأستاذ أحمد فتحي القاضي المحامي، والثانية من الآنسة «ليلى»، فماذا أقول في مناقشة هذين الخطابين؟

أذكر أولًا أن لي غاية من التجني على أسيوط، فأنا أريد التنبيه على أن هذه المدينة لا تأخذ حظها من الاهتمام الواجب لمدينة في مثل مكانتها التاريخية. وأنا أريد أيضًا تأييد الرأي الذي يقول بإنشاء جامعة في أسيوط لتسترد المدينة حيويتها العلمية والأدبية. وهل ينكر أحدٌ أن من واجب الكاتب الوطني أن يدعو قومه إلى المبادرة بتزويد الحواضر الكبيرة بأزواد العلوم والآداب والفنون؟

إنَّ أكابر أسيوط يهجرونها طائعين، رغبة في الحياة القاهرية، حياة السيطرة على المجتمع السياسي، وأنا أحب أن تعيش العصبيات الإقليمية على نحو ما كانت عليه قبل سنين، وأتمنى أن يرى الرجل في بلده من قوة الذاتية ما يغريه بالزهد في صوت القاهرة الصخاب.

وتقول الآنسة «ليلى»: إني لو درست حياة أسيوط بعناية لأدركت أنها أعظم من سنتريس.

وأقول: إن البلاد تحيا بحب أهليها، وأنا أحب بلدي بأكثر مما يحب الأسيوطيون بلدهم الجميل.

حدثني أحد أساتذة الكلية الأمريكية بأسيوط قال: إن الكلية دعت معالي الأستاذ نجيب باشا الهلالي ليكون خطيب الحفلة الختامية في هذه السنة، فتفضل بالقبول ثم اعتذر بعد ذلك.

فقلت: الكلية لم تراع ظروف الخطيب، فإن الهلالي باشا نفسه حدثني أنه لم يزر أسيوط منذ عشر سنين، ومن المؤكد أن هذه المدة الطويلة مرت فيها مناسبات تفرض عليه زيارة وطنه الأول؛ مناسبات عائلية في الأفراح أو الأتراح، فكان يكتفي بالبرقيات في التهنئة أو العزاء، فمن العسير عليه أن يعود في مناسبة وقتية لإلقاء خطاب يستطيع إرساله بالبريد إن أراد.

وأعجب ما في هذه القضية أن للهلالي باشا مصالح في أسيوط تعطلت بسبب انصرافه عن زيادة تلك المدينة، فله دار فخيمة تعرضت للتصدع بسب هذا الانصراف.

قلت لصاحبي وأنا أحاوره: هل تعرف أن للديار أرواحًا يؤذيها الجفاء؟

فقال: المعروف أن الديار مجموعة أحجار وأخشاب، فهي جمادات لا تتأثر بالهجران.

قلت: هذا وهمٌ في وهم، فالديار تتأذى بالهجر كما يتأذى الأحباب، وليس في الوجود كائنٌ بلا روح، ولو كان في الاصطلاح من الجماد.

يستطيع الهلالي باشا أن يعتذ لداره بالشواغل التي تصده عن زيارة أسيوط، ولكن لي رأيًا آخر، هو أن نجعل زيارة دورنا بالأقاليم النائية من شواغلنا الأساسية، فلتلك الديار حقوق، وهي أيضًا من ضمائر الوطن الغالي.

وبماذا يجب الهلالي باشا لو دعوته إلى بناء دار بأم درمان أو الخرطوم؟

لو التفت هذه الالتفاتة لكان من السهل عليه أن يخلق لمصر صداقات جديدة في السودان.

بإحدى المحاضرات الافتتاحية في الكولليج دي فرانس ألقى علينا المسيو ماسينيون محاضرة من مشاهداته في إيران، وبعد المحاضرة سألته عن السبب في كثرة أسفاره إلى إيران، فأجاب: ألا تعرف أن لي دارًا هنالك؟

وفي مقابل هذا أذكر أن كبيرًا من كبرائنا باع أملاكه في بلده لتكون ثروته في القاهرة، عساه يشرف عليها بلا عناء.

ومع هذا يعاب علي أن أقول: إن أكابر أسيوط يهجرون أسيوط!

يجب أن نقول ونقول ثم نقول بأن الإقبال على الحياة القاهرية سيؤذي الأقاليم المصرية أشد الإيذاء.

هذا مع أن النيل يرشدنا إلى الواجب في كل لحظة باختياره الموفق لأطايب البقاع، ولو سايرنا النيل في هواه لكان عندنا مئات من غُرر البلاد.

obeikandi.com

وهل ننسى أننا لم ننشئ مدينة جميلة في «القناطر الخيرية» وهي بقعة لا نظير لها في أي أرض؟

وقطار الإسكندرية يمر بنا على مدينة اسمها «كفر الزيات» على موقع من أجمل مواقع النيل، فما تلك المدينة؟ ومتى تخطر في البال؟

والنيل بين زفتى وميت غمر على جانب من العظمة الطبيعية والجمال الأصيل، فأين من فكر في الاستظلال بتلك العظمة وذلك الجمال؟

إن الحمائم والعصافير تعرف من سرائر بلادنا ما لا نعرف. ألم أحدثكم مرة أن لها مغاني في أكثر البقاع المصرية؟

لكل مكان في مصر روح وأرواح، وبلادنا نشأت أول ما نشأت على فطرة الاستقلال، فقد كان لكل قطر من أقطار مصر سيادة محلية، وكان بكل قطر من أقطار مصر سادة يتعالون باسم الشرف والجود، فكيف نحوِّل هذه القُوى إلى بُقعةٍ واحدة هي البقعة القاهرية؟

هل نتعزَّى بأن يقال: إن القاهرة أعظم مدينة في الشرق؛ ونحن نعرف أنها تجني على الحواضر المصرية بغير حق، كما تجني أسيوط على منفلوط؟

وهنا يجيء حديث المناطق في وزارة المعارف، وقد سمعت أن نظام المناطق في طريق الإلغاء.

وأقول بصراحة: إن أول وزارة عرفت نظام المناطق هي وزارة الداخلية، وهي لا تستطيع التخلي عنه بأي حال؛ لأنه أفضل الأنظمة في

صيانة الحياة الداخلية، ولأن المشرفين عليه كانوا السبب في تنظيم حواضر البلاد.

وإذا استطاعت وزارة المعارف أن تمنح ممثليها بالأقاليم قوة تشبه القوة الممنوحة لممثلي وزارة الداخلية؛ فستظفر الأقاليم بإصلاحات قائمة على أساس الفهم والذوق، وقد تفك الحصار المضروب على رجال التعليم، وهم رجال عوقتهم الظروف عن تحقيق ما يريدون في إصلاح الأقاليم.

هل يعرف أحد كيف يجوز أن يكون ممثل وزارة الداخلية هو الرجل الأول في المديرية، ولا يكون مثل هذا الحظ لممثل وزارة المعارف؟

نحن إخوة، فكيف نفترق في الواجبات ولم نفترق في الحقوق؟

ما الذي يمنع من إعطاء مدير التعليم فرصة الإصلاح الممنوحة لمدير المديرية؟

أنا أوجه القول إلى وزير المعارف، وأسأله برفق عن تعطيل مواهب رجال التعليم في الأقاليم، وفي مقدورهم أن يخدموا الإصلاح خدمات عظيمات؟

لقد اقترحت أن يكون وزير المعارف هو الوزير الأول؛ ليكون المعلم هو الرجل الأول، فهل كنت في هذا الاقتراح من المسرفين؟

إن كان ذلك فأنا أطالب معالي وزير الأشغال بأتعابي، وقد وجهت إليه كلامًا عن «نفق شبرا» يستحق ألوفًا من الجنيهات، فليدفع الأتعاب قبل أن أقاضيه بمحكمة مصر الجديدة... وهل في مصر الجديدة محكمة أهلية؟

هذا إشكالٌ جديد، وسأخاصم فيه وزير العدل بعد حين!

ثم ماذا؟ ثم يبقى القول في رد ما جاء بالخطابين الكريمين، خطاب ابن منفلوط، وخطاب بنت أسيوط، فإلى اللقاء!

***

الدفع مقدَّمًا...!

من العبارات المألوفة في البيع والشراء عبارات: الدفع مقدمًا، والدفع فورًا، والدفع بالتقسيط.

والمفهوم أن الدفع مقدمًا أدل على النفاسة من الدفع فورًا، أما العبارة الثالثة فهي شاهدة بهوان المعروض، وكل معروض مهان.

ولكن ما الرأي إذا كان التقسيط من تلطف البائع، لا من هوان المبيع؟

ما الرأي إذا كانت السلعة المبذولة غنيمة وجدانية لا تقوَّم بالمال، وإنما تقوَّم بقصيدة أو مقالة تؤخذ أقباسها من لهيب الروح؟

ألا يكفي أن تصبح ذمة الكاتب والشاعر في غنى عن الضمان؟

سأرى كيف أصنع في سداد الديون بالتقسيط. ولعلني أسارع ليكون من حقي أن أطمع في غنائم جديدة من غنائم الوجدان، في المدينة التي قال فيها أحد الشعراء:

ولا عيبَ فيها غير أن نسيمَها ... يزيد سَعِيرَ القلب وقدًا وَقدِ

***

الحديث ذو شجون

مقاومة التدخين:

في العام الماضي قام الدكتور شخاخيري بتأليف رابطة لمقاومة التدخين، ومضى يستهدي المفكرين والمؤلفين والوزراء كلمات في استنكار التدخين. ولم يكتف بذلك، وإنما اندفع فنظم سلسلة محاضرات في «دار الحكمة» دعا إليها أشهر المحاضرين ليقاوم آفة التدخين.

والدكتور شخاخيري رجلٌ مخلص، ودعوته هذه تستحق التأييد؛ ولكنها معرضة لأخطار سأنص عليها في هذا الحديث لأهدم الأساس الذي قامت عليه، ولعل الله يتفضل فيكتب لي النفع مما تعلمت؛ لأنني مع الأسف من المسرفين على أنفسهم بالتدخين.

شاع وذاع أن الدخان يشحذ الفكر، ويوقظ الذهن، ومن أجل هذا كثر المدخنون من الشعراء والكتاب والسياسيين، حتى صار من المألوف أن نرى صور الساسة والوزراء وفي أفواههم السجائر النحاف أو السمان، وحتى صار من العسير أن نتصور شاعرًا أو زعيمًا خلت حياته من عبق الدخان.

لن أقف موقف الواعظ في دفع هذه الآفة، ولكني سأقف موقف المؤرخ، ثم أترك الحكم للقراء فيما سأسوقه من البينات.

أول أمة عريقة في التدخين هي أمريكا القديمة، أمريكا الأمريكية، لا أمريكا الأوربية؛ أعني أمريكا التي سبقت عهد كولمبوس، وسبقت عهد الاتصال بالأوربيين والأسيويين.

فما الذي استفادت أمريكا القديمة من التدخين؟ هل فتق أذهان أهليها إلى ألوان من الفكر والعقل والبيان؟ هل جعل لأهليها ماضيًا في رفع دعائم الحضارة الإنسانية؟

كلا، وإنما تركها التدخين أمة بلا تاريخ.

وأقدم الأمم في رفع راية العقل هم المصريون والبابليون واليونانيون، فهل عرف هؤلاء التدخين حتى ننسب رقيهم إلى هذا المرض الفظيع؟

وهل عرف العرب التدخين حتى نرد السبب في تفوقهم إلى الدخان؟

هل دخن الجاحظ والغزالي وابن رشد والبحتري والمتنبي وأبو فراس؟

أترك التاريخ القديم، وأذكر شواهد قريبة جدًّا من تاريخ مصر الحديث:

أعظم كاتب سياسي بإجماع الآراء هو المرحوم عبد القادر باشا حمزة، ولم يكن يدخن أبدًا، وما أذكر أني رأيته طلب فنجان قهوة في أي وقت وهو يكتب أصعب المقالات.

obeikandl.com

ومن عظماء كتابنا الأستاذ الزيات والأستاذ العقاد، وهما لا يعرفان التدخين. وهذا كلام لا يكاد يصدقه القارئ؛ ولكنه الواقع، ولا حيلة في إنكار الواقع[١].

ولو أن الله أراد أن أنتفع بما تعلمت لتذكرت أني ألفت كتاب «الأخلاق عند الغزالي» وكتاب «النثر الفني» قبل أن أعرف التدخين، فمتى أنتفع بما تعلمت؟

أما بعد! فقد دعاني إلى كتابة هذه الكلمات حوادث أغضبتني؛ لأن فيها دعاية إلى التدخين، وهو مرض يفتك بشبان هذا الجيل.

الحادث الأول: في الأسبوع الماضي وقف الأستاذ زهير صبري يستجوب الحكومة في مجلس النواب عن تسعير الحاجيات الضرورية، فلما وصل إلى السجائر قال: إن السجائر قد غلت مع أن «كيف» القهوة والشاي لا يحلو إلا بسجارة (؟!) فهل فاته أن في هذا الكلام إيحاء بأهمية السجائر في الحياة اليومية.

الحادث الثاني: في الأسبوع الماضي أيضًا «تفضلت الإذاعة اللاسلكية فأذاعت أغنية تنطق بفضائل السجائر، أغنية منقولة عن أحد الأفلام السينمائية.

وأنا سأثبت هذه الأغنية في هذا الحديث لغرض واحد: هو تأريخ الحياة الأدبية، فما يجوز لمؤرخ الأدب أن يترك شيئًا بلا تقييد، ولو كان

---

(١) عرفت أخيرًا أن الزعيم الوطني مصطفى باشا كامل لم يعرف التدخين.

في الدعوة إلى الدخان. وسأدعو الإذاعة اللاسلكية بعد ذلك إلى التفرقة بين جو الرواية وجو الغناء.

عنوان الأغنية «خذ سجارة وهات سجارة» وهي من الشعر الملحون:

السجارة في الحياة زيي أنا ... تِتْحرق وتضحّي روحها لأجل
عمرها في الدنيا ما شافت هنا ... تحيا بين النار عشان يرتاح
خد سجاره، وهات سجاره

السجارة إن كنت يوم حتْدوق ... تلقى نفسك في حياة غير الحياهْ
تلقى طِيف اللي تحبّه بين دخانها ... لما فكرك يبقى سارح في هواه
خد سجاره، وهات سجاره

أنت زعلان؟ خد سجارة، خدها ... يا لله ولعها واطفي الشوق بنارها
أنت تبقى في جوها عايش مهنّي ... والسجارة تبقَى زيي في مرارها
خد سجاره، وهات سجاره

السجارة لما تيجي وتواسيك ... تنكوي بنارك ومن شوقك تبوسها
هي بتْصون الجميل حرام عليك ... بعد ما تحرقها بالأقدام تدوسها
خد سجاره، وهات سجاره

وهذه القطعة قوية جدًّا في الإبانة عن الغرض الذي نُظمت فيه، ولكن محطة الإذاعة تنسى أن ما يبيحه جو الرواية لتصوير إحدى الحالات النفسية، لا يباح عرضه على جماهير بريئة يؤذيها الإيحاء بجمال الدخان.

جو الرواية المسرحية أو السينمائية قد يدعو إلى تجميل إحدى الرذائل، ولكنه قد يسوق بعد ذلك عبرة تقتل السم الذي بثه المنظر الأول، وبهذا يتعادل النضال بين السم والترياق.

obeikandl.com

فما عذرُ محطة الإذاعة في أن تبثَّ داءً بلا دواء؟

الحادث الثالث: رأيت في أحد الأفلام ممثلًا يدخن بإسراف، مع أنه صديق أعرفه منذ سنين، وهو يُبْغض الدخان، فلما سألته عن السبب، أجابني بأن الأفلام المصرية تجعل الناس جميعًا مدخنين، فما هذا الذي نرى؟

أنُزَوِّر الحياة المصرية لتشابه الحياة الأمريكية؟

أنكذب على الواقع في سبيل الفن، مع أن غاية الفن هي أن يُجسِّم المحاسن والعيوب، حين يراد به تهذيب الأخلاق؟

اللهم حوالينا ولا علينا!!

***

obeikandl.com